دور شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التحول السياسي بتونس 2011-2014

جبران سفيان
طالب دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة
djebrane1990@gmail.com
مجدوب عبد المؤمن
أستاذ التعليم العالي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة
abdel.medjdoub@yahoo.fr

ملخص:

عرفت تونس في أواخر سنة 2010،حركة إحتجاجية شعبية واسعة أدت في النهاية إلى إنهيار النظام السياسي التونسي الذي كان مجسدا في شخص الرئيس السابق زين العابدين بن علي.

لقد برز في خضم هذه الأحداث السياسية التي شهدتها تونس، عامل جديد ساهم في إنجاح وإسراع عملية التحول السياسي، نحن نتحدث هنا عن شبكات التواصل الإجتماعي،حيث شكلت هذه الأخيرة خلال هذا التحول وسيلة إعلامية حديثة بإمتياز، وحلقة وصل وتنسيق بين الناشطين والمتظاهرين،هذا الأمر فتح باب النقاش واسعا على عدة مستويات فيما تعلق بالدور الذي لعبته شبكات التواصل الإجتماعي في التحول السياسي في تونس و في دول عربية أخرى، ما دفع الكثير من العلماء والمختصين إلى إبداء مزيد من الإهتمام بهذه الشبكات من حيث توظيفها في المجالات السياسية، وكذا مساهمتها في التحولات السياسية بداية من تونس، وإمكانية تأثيراتها السياسية مستقبلا، وهذا ما حاولت هذه الدراسة أن تجيب عنه.

الكلمات المفتاحية: تونس،شبكات التواصل الاجتماعي،التحول السياسي،الثورة،الفايسبوك..

Abstract:

At the end of 2010, Tunisia has seen a large movement of popular protest that led to the fall of the Tunisian political regime embodied in the former President Zine El Abidine Benali.

During these political events that Tunisia had witnessed, a new factor emerged and contributed to the success and acceleration of the process of political transition: it is a social network that represented a modern means of information by excellence and a direct link between activists and demonstrators. This opened a wide debate on several levels about the role played by social network in the political transition in Tunisia and other Arab countries. As a result, several scientists and specialists were interested in this network from where its uses in Political fields and its contribution to the political transition started in Tunisia, and its future ability influences politics, that's what this study has attempted to explain.

Key Words: Tunisia, Social network, Political transition, Revolution, Facebook

مقدمة:

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من بين التقنيات والوسائل الحديثة التي أفرزتها ظاهرة العولمة، والتي ألقت بظلالها على شعوب العالم خاصة العربية منها، ففي وقت قريب لم تكن سوى وسيلة للتواصل بين الأفراد من أجل التسلية والترفيه، لكن سرعان ما بدأت تتبلور هذه الوسيلة وتأخذ منحنى مغاير لما كانت عليه في السابق، بحيث أصبحت عاملا مهما وفعالا في إحداث العديد من التحولات السياسية في الدول العربية خاصة في الآونة الأخيرة تحت ما يعرف ببلدان الربيع العربي وعلى رأسها تونس.

عرفت تونس مع بداية عام 2011، حراكا اجتماعيا وسياسيا هز أركان النظام السياسي التونسي، والذي أدى إلى عزل الرئيس زين العابدين بن علي عن سدة الحكم، وذلك في ظل فشل الإصلاحات والسياسات المنتهجة طيلة عقود من الزمن، وعدم قدرة نظام بن علي على تحقيق العدالة الاجتماعية وتكريس مبادئ الديمقراطية الحقة، إضافة إلى غلق المجال السياسي أمام المجتمع التونسي للمشاركة في العملية السياسية خاصة في ظل الاستفراد بالسلطة وشخصنتها في شخص الرئيس، الأمر الذي أدى إلى وجود فجوة وهوة بين النظام السياسي التونسي الذي تميز بتركيبته ونزعته التسلطية، وبين مجتمع تميز هو الأخر بدرجة من الوعي السياسي والثقافي ونسبة عالية من التعليم، كل ذلك مثل نقطة فاصلة وفاصمة بين الطرفين، أدخلت البلاد في تحول سياسي، وإحداث القطيعة مع تاريخ طويل من الاستبداد السياسي، وذلك بالانتقال من نظام تسلطي إلى نظام أخر يكرس مبادئ الديمقراطية ويعزز ركائزها بتبني الديمقراطية التشاركية كنموذج حكم والحكم الراشد كنموذج تسيير وبناء منظومة قيمية – معيارية أساسها حقوق الإنسان.

لقد برز خلال التحول السياسي الذي عرفته تونس، عامل ساهم بشكل فاعل وكبير في تحريك وتنظيم الشارع التونسي، وهو شبكات التواصل الاجتماعي مثل youtube،twitter،facebook، والتي تعتبر جزءا من الإعلام الجديد، إعلام عن طريق شبكة الانترنت، فقد لعبت إلى جانب دورها الاجتماعي دورا سياسيا في عملية التحول السياسي في تونس وحتى في بلدان الربيع العربي كما أطلق عليها، حيث تحولت هذه المواقع من مجرد وسيلة للتواصل الاجتماعي إلى وسيلة للتواصل والتداول والتنفيس السياسي، كفضاءات عمومية للتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، كما وأثبتت هذه الشبكات من جهة أخرى قدرتها على تنظيم صفوف الجماهير بسرعة قياسية، من خلال وظيفة التعبئة والحشد وممارسة ضغوطات على أنظمة الحكم.

لم يكن أحد يتوقع ما فعله مستخدمي الشبكات الاجتماعية ودورهم في تنظيم وتنسيق وتخطيط الاحتجاجات في الميادين والساحات العمومية، وصناعة الأحداث وصياغة الشعارات، ومن أهم الشعارات التي رفعها المحتجون الشباب أثناء هذه الثورة "الشعب يريد إسقاط النظام".

بالرغم من وجود العديد من الآليات والطرق التي يمكن من خلالها إحداث تحول سياسي، فإن شبكات التواصل الاجتماعي اعتبرت بمثابة آلية جديدة تستخدم من طرف شعوب العالم، خاصة العربية في عملية التحول السياسي، فهي كانت الوسيلة الأولى التي انطلقت منها شرارة التغيير، فقد استطاعت أن تغير وتحول موازين القوى لصالح المجتمع التونسي بعد أن كانت محتكرة من طرف النظام السياسي بل وقدرتها على ممارسة وظيفة التعبئة الجماهرية في زمن قياسي، وهو ما لم تستطع عليه الأحزاب السياسية وعجزت عن تحقيقه على مدار سنوات طويلة من الزمن، سواءا في الدول العربية بصفة عامة أو تونس على وجه الخصوص.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، والتي يمكن أن تعكس مردود ايجابي يثري البحث العلمي الأكاديمي، حول موضوع جديد وحديث، ومن ابرز هذه الأهداف ما يلي:

- ✓ البحث في الظروف التي ساهمت في عملية التحول السياسي من خلال وسائل غير تقليدية كشبكات التواصل الاجتماعي، من خلال رصد لأهم الأدوار التي قامت بها هذه الشبكات من تعبئة وحشد وتنسيق بين الفاعلين.
- ✓ معرفة مدى قدرة مستخدمي هذه الشبكات على توسيع نطاق ورقعة الاحتجاجات الشعبية في تونس، في ظل التحديات والعوائق التي كانت تواجههم انطلاقا من قطع هذه الوسائل وصولا إلى حملات الاعتقال والملاحقة التي طالت البعض منهم.
- ✓ محاولة فهم الأثر التكنولوجي الذي يقع على المجتمعات ويغير من أنماطها التقليدية.مع إعطاء نظرة استشرافية حول مستقبل شبكات التواصل الاجتماعي والتحديات التي تواجهها، خاصة في ظل تحول هذه المواقع إلى وسيلة مضادة تقف في وجه الأنظمة السياسية التي لا تلبي تطلعات واحتياجات الشعوب.

ولتحقيق هذه الأهداف تم الإنطلاق من الإشكالية الآتية: **ما مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التحول السياسي بتونس ؟ وما مستقبلها على المنطقة العربية في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل؟**

ولمناقشة هذه الإشكالية تم انتهاج المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة كما تم الاعتماد على الاقتراب الاتصالي **لكارل دوتش**Karl Deutsch وكذا اقتراب علاقة الدولة بالمجتمع **لجول ميغدال** Joel Migdal ، ومن الناحية المفاهيمية تم تشخيص العلاقة من خلال متغيرين اساسيين هما:

- ✓ **شبكات التواصل الاجتماعي**: هي مواقع إلكترونية افتراضية تتسم بطابعها الاجتماعي، وتسمح للجماعات والأفراد المشتركين في التواصل والتفاعل فيما بينهم في أي نقطة من العالم عبر الإنترنت، من خلال تبادل الدردشة والأفكار والصور والفيديو.
- ✓ **التحول السياسي:** هي عملية الانتقال من وضع إلى وضع أفضل وأحسن، أو هو عملية الانتقال من نظام غير ديمقراطي إلى نظام أكثر ديمقراطية.

وتم بذلك تقسيم هذا البحث إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: شبكات التواصل الاجتماعي عمق في المفهوم والظاهرة.

1. شبكات التواصل الاجتماعي المفهوم والدلالة.
2. نشأة وتطور شبكات التواصل الاجتماعي.
3. خصائص شبكات التواصل الاجتماعي ومداخلها النظرية.

المحور الثاني: التحول السياسي بتونس.

1. مفهوم التحول السياسي.
2. أسباب واليات التحول السياسي بتونس.
3. المواقف الدولية والإقليمية من التحول السياسي بتونس.

المحور الثالث: تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على عملية التحول السياسي بتونس.

1. دور شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التحول السياسي بتونس.
2. ردود أفعال النظام السياسي التونسي السابق من شبكات التواصل الاجتماعي.
3. مستقبل شبكات التواصل الاجتماعي في الدول العربية.

المحور الأول: شبكات التواصل الاجتماعي عمق في المفهوم والظاهرة.

1. شبكات التواصل الاجتماعي المفهوم والدلالة.

أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي ذات أهمية بالغة في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات، حيث باتت من الضروريات التي ينبغي على الإنسان أن يمتلكها ويتفاعل بواسطتها، ويتواصل بها مع غيره من البشر فقد كان لظهور الانترنت بالغ الأثر في تغير نظرة المجتمعات للتكنولوجيا والإعلام بحيث ساهمت في تقريب المسافات بين الشعوب والدول وأصبحت مفهوما تنصهر فيه الثقافات والمجتمعات مشكلة بذلك مجتمعا افتراضيا موازيا للمجتمع الحقيقي.

عرف قاموس اكسفورد oxford شبكات التواصل الاجتماعي على أنها: "مواقع websites أو تطبيقات تسمح للمستخدمين بالتواصل فيما بينهم وهذا من خلال وضع معلومات وتعليقات ورسائل وصور" (oxford university press, www.oxforddictionaries.com)

في حين عرفها قاموس odlis شبكات التواصل الاجتماعي على أنها: "خدمة الكترونية تستند إلى الويب مصممة للسماح للمستخدمين بإنشاء صفحة شخصية أو للاتصال بأشخاص آخرين، بهدف التواصل والتعاون وتبادل المعلومات، وهي تسمح للأعضاء المسجلين فقط بمشاهدة صفحات أشخاص آخرين منها الأصدقاء أو مجموعات معينة من مستخدمي الخدمة ومنها الفاسبوك وتويتر"(البلوشي، 2012/2011،ص31).

أما زاهر راضي فيعرفها بأنها "منظومة من الشبكات الالكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها" (راضي، 2003، ص23).

أما رضوان بلخيري فيعرفها بأنها "تشير إلى الطرق الجديدة في الاتصال بالبيئة الرقمية، بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الانترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم للعالم اجمع"(بلخيري،2014،ص20).

في حين عرفها كل من " بويد M.Boyd والسونB.Ellison " بأنها خدمات تعتمد على الانترنت و تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال"(.Boyd,Ellison,vol13,2007,p211).

وعليه فإن شبكات التواصل الاجتماعي هي مواقع الكترونية اجتماعية يتم برمجتها من طرف شركات كبرى، هدفها هو جمع اكبر عدد من المستخدمين والفاعلين في إطار بيئة افتراضية، يتم من خلالها تبادل الآراء والأفكار والمعلومات.

وتشترك الشبكات الاجتماعية في نفس الخدمات و تتمايز بعضها عن الأخرى بمميزات تفرضها طبيعة الشبكة ومستخدمها، يمكن إيجازها (عبد الجبار،فراس،كوركيس، 2012،ص210) في الآتي:

- ✓ الصفحات الشخصية/ صفحات الويب: هي ملفات يقدم فيها الفرد بياناته الأساسية مثل: الجنس، تاريخ الميلاد، البلد، الاهتمامات والصورة الشخصية وغيرها من المعلومات.
- ✓ الأصدقاء/ العلاقات: وهي خدمة تمكن الفرد من الاتصال بالأصدقاء الذين يعرفهم في الواقع وكذا الذين يشاركونه الاهتمام نفسه في المجتمع الافتراضي.
- ✓ إرسال الرسائل: وتتيح هذه الخاصية إمكانية إرسال رسالة مباشرة للشخص، سواء كان في قائمة الأصدقاء لديك أو لم يكن.
- ✓ ألبومات الصور: تتيح الشبكات الاجتماعية لمستخدميها إنشاء عدد لا نهائي من الألبومات ورفع مئات الصور فيها وإتاحة مشاركة هذه الصور مع الأصدقاء للاطلاع والتعليق عليها.
- ✓ المجموعات: تتيح شبكات التواصل الاجتماعي فرص تكوين مجموعات بهدف معين أو لأهداف محددة وتوفر هذه المواقع لمؤسس المجموعة أو المنتسبين والمهتمين بها مساحة من الحرية أشبه بمنتدى حوار مصغر كما تتيح فرصة التنسيق بين الأعضاء.

إن تعدد التعريفات حول شبكات التواصل الاجتماع،ي إنما مرده عدم وجود تعريف جامع وموحد لها يعود أساسا إلى أن هذه الشبكات سريعة التطور، إذ أنها تطور خدماتها بطريقة مستمرة ودورية حسب احتياجات وتطلعات المستخدمين وسعيا منها إلى جذب اكبر عدد ممكن من المشتركين للاستفادة من خدماتها،وهذا دون أن ننسى المنافسة التي أصبحت قائمة بين مختلف شبكات التواصل الاجتماعي في سعيها نحو توسيع انتشارها وزيادة تأثيرها في مختلف أرجاء المعمورة، بل الأكثر من هذا أصبح لهذه الشبكات الاجتماعية مصالح اقتصادية تقدر بمليارات الدولارات والتي تتعامل بمنطق الربح والخسارة والمنافسة.

2. نشأة وتطور شبكات التواصل الاجتماعي.

أدى ظهور شبكة الانترنت إلى حدوث ثورة في مفهوم المعلومات، بحيث أصبح بالإمكان نقل كميات هائلة من البيانات وتقديم العديد من الخدمات الالكترونية عبر الحدود وبين الدول والقارات، في ظل الاتجاه العالمي المتسارع نحو استخدام شبكة الانترنت كوسيلة أساسية للاتصالات والتدفق المعلوماتي.(المزاهرة،2001،ص17)

لقد مرت شبكات التواصل الاجتماعي إلى يومنا هذا بمرحلتين أساسيتين من التطور هما:

أ. المرحلة الأولى: تسمى هذه المرحلة من تطور شبكات التواصل الاجتماعي "بالويب1.0 WEB، والذي يشير إلى شبكة المعلومات التي وفرها عدد قليل من الناس لعدد كبير من المستخدمين، والتي تتكون أساسا من صفحات ويب ثابتة تتيح مجالا صغيرا للتفاعل"(Harrison,Thomas,2009,p112) حيث بدأت مجموعة من المواقع الاجتماعية في الظهور في أواخر التسعينيات مثل كلاس ميتس classmates عام 1995 للربط بين زملاء الدراسة وموقع سكس دجريس six degrees عام 1997،والذي ركز على الروابط المباشرة بين الأشخاص وظهرت في تلك مواقع الملفات الشخصية للمستخدمين و خدمة إرسال الرسائل الخاصة لمجموعة من الأشخاص، كما ظهرت كذلك مواقع

أخرى مثل لايف جورنال live journal وموقع كايوورلد cyworld الذي أنشئ في كوريا سنة 1999،وكان ابرز ما ركزت عليه مواقع التواصل الاجتماعي في بدايتها خدمة الرسائل القصيرة والخاصة بالأصدقاء وعلى الرغم من أنها وفرت بعض الخدمات إلا أنها لم تستطع أن تدير أرباحا على مؤسسيها ولم يكتب للكثير منها البقاء (عدل،خليفة،2009،ص11).

ب. المرحلة الثانية: وهي مرحلة "الويب 2.0 والي يشير إلى مجموعة من التطبيقات على الويب مثل المدونات ومواقع المشاركة وكذا الوسائط المتعددة وغيرها، فقد اهتمت هذه المرحلة بتطوير المجتمعات الافتراضية مركزة على درجة كبيرة من التفاعل والاندماج والتعاون" (نومار،2012/2011،ص48)، وتشهد هذه المرحلة من "تطور شبكات التواصل الاجتماعي الإقبال المتزايد من قبل المستخدمين لمواقع الشبكات العالمية والذي يتناسب مع التزايد في استخدام الانترنت على المستوى العالمي"(زكي،2012،ص05)، إن الميلاد الفعلي لشبكات التواصل الاجتماعي كما نعرفها اليوم كان مع بداية عام 2002، حيث ظهر موقع التواصل الاجتماعيFriendester.com وقد تم تصميمه ليكون وسيلة للتعارف والصداقات المتعددة بين مختلف فئات المجتمع العالمي، وقد نال هذا الموقع شهرة كبيرة في تلك الفترة وفي النصف الثاني من نفس العام ظهر في فرنسا موقع Skyrock.com كوسيلة للتدوين ثم تحول بعد ذلك إلى شبكة تواصل اجتماعي مع ظهور تقنيات الجيل الثاني للويب (خلف الله،نشأة وتطور مواقع التواصل الاجتماعي،http://kenanaonline.com/users/azhar-gaper/posts/512888.)، وفي ذات الإطار مواقع أخرى للتواصل الاجتماعي مثل Myspace.com وLinkedin.com عام 2003، ليظهر فيما بعد الموقع الأكثر شهرة واستقطاب للأفراد وهو Facebook.com سنة 2004، ثم موقع تويتر Twitter الذي انطلق في عام 2006 والذي جاء كمشروع تطوير بحثي أجرته شركة odeo الأمريكية.

3. خصائص شبكات التواصل الاجتماعي ومداخلها النظرية.

تتميز شبكات التواصل الاجتماعي بمجموعة من الخصائص والتي تعد من العوامل التي أدت إلى الانتشار الهائل والمتزايد لهذه الشبكات في أوساط المجتمعات وهي كالتالي:

- ✓ وسائل الإعلام الاجتماعية تمكن وتؤمن قواعد ووسائط تفاعلية على شبكة الانترنت عالميا من خلال مشاركة المستخدمين في التعليق على المحتوى (قندلجي،2013،ص339).
- ✓ أداة تسويقية جديدة للمنتجات والأفكار والبضائع تسمح بالتعرف على الزبائن والتوقعات المستقبلية وبالطرق التي كانت في السابق غير ممكنة (قندلجي،2013،ص340).
- ✓ المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي، فالمجتمع الافتراضي لا يتحدد بالجغرافيا بل بالاهتمامات المشتركة التي تجمع معا أشخاصا لم يعرف كل منهم الأخر بالضرورة قبل الالتقاء الكترونيا (بلخيري،2014،ص30).
- ✓ الشخص في هذا المجتمع عضو فاعل أي أنه يرسل ويستقبل ويقرا ويكتب ويشارك ويسمع ويتحدث فدوره تجاوز الدور التقليدي المقتصر على الاستماع والاطلاع فقط ودور صاحب الموقع Administrateur هو الرقابة ومحاولة والتوجيه (الصاعدي،2012،ص 9-10).

ومن المميزات التي تتمتع بها شبكات التواصل الاجتماعي نجد:

- ✓ حرية أعلى في شبكات التواصل الاجتماعي.
- ✓ التواصل بين المستخدمين.
- ✓ التحكم في المحتوى المعروض.
- ✓ العالمية.
- ✓ التفاعلية.
- ✓ التنوع وتعدد الاستعمالات.
- ✓ سهولة الاستخدام.
- ✓ التوفير والاقتصادية.

هذه المميزات كانت أهم العوامل التي ساهمت في انتشار شبكات التواصل الاجتماعي بطرقة سريعة ومذهلة وبتكاليف أقل من وسائل الأعلام التقليدية ولشبكات التواصل الاجتماعي ثلاثة أبعاد وهي:

أ. سياسية بما أن الأمر يتعلق بالتحكم في المحتوى.
ب. اقتصادية وتجارية تبادل لخدمات غير مادية.
ت. ثقافية ونفسانية لا تعكس تطلعات المجموعات فقط و مخيلاتهم وإنما تقولبها في نفس الوقت.

بالرغم من الخصائص والمميزات التي اتصفت بها شبكات التواصل الاجتماعي، إلا أن ذلك لا يخلو من نقائص وسلبيات تنعكس على المستخدم لهذا النوع من المواقع والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- تقلل من مهارات التفاعل الشخصي.
- انعدام الخصوصية.
- التشهير وتشويه السمعة.
- المضايقة والملاحقة.
- انتحال الشخصيات.
- التشكيك في مصداقية الأخبار والمعلومات.
- تراجع استخدام اللغة العربية.

❖ **المداخل النظرية لشبكات التواصل الاجتماعي.**

يخضع مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي إلى عدة مداخل نظرية منها:

- ✓ **منظور التفاعلية الرمزية:** يعتبر هربرت بلومر Hrberte Bloumer أول من استخدم تسمية التفاعلات الرمزية، وحسب بلومر تعتمد التفاعلية الرمزية على ثلاثة مبادئ (بن روان،2007،ص31) وهي:

1. إن الأفراد في سلوكهم تجاه الأشياء يرتبطون بالمعنى الذي تحمله هذه الأشياء إليهم.
2. إن معنى هذه الأشياء يتأتى أو ينبثق عن التفاعل الاجتماعي مع الآخرين.
3. إن هذه المعاني يتم تناولها وكذا تعديلها في سياق صيرورة تأويلية يوظفها الفرد في التعامل مع الأشياء التي يلاقيها.

ومن ثم فإن التفاعلات الرمزية تنظر إلى المعنى كمنتوج اجتماعي يتأسس من خلال نشاط الأفراد وهم يتفاعلون، وهذا ما يجعل المعنى ظاهرة اجتماعية.

ويهتم منظور التفاعلية الرمزية بالديناميات النفسية الاجتماعية لتفاعل الأفراد في جماعات صغيرة، ويركز على المفاهيم Definitions والمعاني Meaning التي أوجدت وتم المحافظة عليها من خلال التفاعل الرمزي بين الأفراد ويرى أن هويتنا Our Identity أو إحساسنا بالذات يتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي Social Interaction،فالأفراد يتفاعلون من خلال شبكات التواصل الاجتماعي عبر استخدام النص والصوت و الفيديو أو الشخصيات الرقمية وهذه الوسائل تمثل معاني ورموز لهم، فالمستخدمون يتصرفون في المجتمع الافتراضي من خلال ما تعنيه الأشياء لهم (بخيث،2012، ص ص06-07).

- ✓ **نظرية رأسمال الاجتماعي الافتراضي:** يتأسس رأسمال الاجتماعي على شبكة من العلاقات الاجتماعية التي يملكها الفرد والتي من الممكن أن تحقق أهدافا ذات أبعاد متباينة له، إذ أن المجال الافتراضي يتأسس عبر تفاعلات الانترنت التي تشكل آلية التواصل لتحقيق رأسمال الاجتماعي الافتراضي عبر مجموعة من السمات كما طرحها **بلانشرد وهورن** (رأسمال الاجتماعي بين السياق الواقعي والواقعي)،-http://ebn khaldoun.com/article_details.php?article=2026 وذلك من خلال:
  - ✓ <u>الارتباط المدني الافتراضي:</u> بمعنى أن هناك نوعا من الارتباط المدني بين أفراد التفاعلات في سياقات افتراضية من خلال الاشتراك في مجموعات منظمة عبر الانترنت ذات الأبعاد الاجتماعية، والذي يؤسس على عنصرين هما التبادل المعلوماتي والثاني الدعم الاجتماعي.
  - ✓ <u>رأسمال الافتراضي الاجتماعي وتجانس الاهتمامات:</u> يؤسس رأسمال الاجتماعي الواقعي بناء على مجموعة من المعايير والثقة التي تظهر خلال امتلاك الفرد لشبكة من العلاقات الاجتماعية، بينما في سياقات المجتمع الافتراضي تعطى الأولوية لمشاركة الاهتمامات فالفرضية الأساسية لتفاعلات المجتمع الافتراضي تنطلق من خلال مشاركة الاهتمامات.
- ✓ **نظرية الشبكة الاجتماعية:** إن نظرية الشبكة الاجتماعية تهتم بدراسة شبكات التواصل الاجتماعي على أساس أنها بنية اجتماعية مكونة من عقد أفراد أو منظمات ترتبط بعلاقة أو أكثر مثل القيم و الأفكار والصداقة والقرابة، كما تهتم هذه النظرية بدراسة أنماط التفاعلات بين الأفراد أو الجماعات أو المنظمات والاستفادة من الأدوات والمفاهيم الرياضية التي غالبا ما تكون معقدة جدا، وبالتالي فهي تستخدم إلى حد كبير المنهج الوصفي التحليلي، حيث تكون الجهات الفاعلة ضمن شبكة معينة مرتبطة بالعديد من أنواع العلاقات (حمدي،2014،ص25)، ويمكن تقسيم الشبكات الاجتماعية إلى مجالين يتمثل **الأول** في البناء العالمي للشبكات الاجتماعية وهو يمثل بنية تفاعلية عالمية تتصل بموضوعات لا تخص جماعة اثنيه أو أقلية معينة، ولكن تنصهر كل الأقليات والتباينات الثقافية داخل بوثقة عالمية للشبكة، و**الثاني** يتمثل في البناء المحلي للشبكات الاجتماعية، حيث يظهر دور الجماعات المحلية كوحدات داخل التفاعلات العالمية ويترك نشاطها على الموضوعات والسياسات المحلية (حمدي،2014،ص26).

المحور الثاني: التحول السياسي بتونس.

1. مفهوم التحول السياسي.

من الناحية اللغوية يقصد "بالتحولConversion التبدلMutation التغييرChangement الانتقال Transition"(سهيل،1998،ص 204-804-1221) أو "التنقل من مكان إلى مكان، أو التغيير من حال إلى حال، والتحول عن الشيء يعني الانصراف منه إلى سواه"(القاموس العربي، ص129).

أما من الناحية الاصطلاحية فقد عرف كل من "غليرموا دونيلو وشمبيتر"التحول السياسي بأنه: "الفترة التي تعقب الانقسام والصراع داخل بنية النظام، حيث يقضي الوضع إلى إعادة التوزيع الموارد العامة، وتؤدي حدة المواجهات والمجادلات إلى إنتاج قواعد سياسية جديدة."(سعداوي، 1999،ص58).

في حين يعرف "هاري اكستاين"Harry Eckstein بأنه " عملية استعمال الضغط والقوة لإعادة هندسة للبنى السياسية والاجتماعية هندسة جوهرية راديكالية."(Eckstein,1992,p278) ومن جهته يرى "محمد عابد الجابري أن التحول السياسي عبارة عن عملية تعد بمثابة انقلاب تاريخي، وهو ما أشارت إليه ثناء فؤاد عبد الله فالديمقراطية هي انقلاب تاريخي على صعيد الفكر والمعتقد، وانقلاب في الوعي"(عبد الله،1997،ص44) كما يعني التحول السياسي "الانتقال من موقع اجتماعي أو سياسي أو إيديولوجي إلى أخر،كالانتقال من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار،ومن الفقر إلى الغنى وتغير الولاء للشخص أو الحزب كل ذلك يجري وفق حركية غير مضبوطة، مما يفتح المجال لكل الاحتمالات"(الجابري،2000،ص197).

2. أسباب واليات التحول السياسي بتونس.

قبل البدء في سرد العوامل والأسباب ودورها في عملية التحول، لابد بداية من إعطاء نبذة حول انطلاقة الحركة الاحتجاجية بتونس، اندلعت الحركات الاحتجاجية اثر قيام "محمد البوعزيزي" المنحدر من منطقة سيدي بوزيد على إحراق نفسه، ودلك عند إقدام شرطية على صفعه بينما كان يبيع على عربة متنقلة (خضر وفواكه) في 17 ديسمبر2010 (حافظ، 2014،ص223)، لتمتد موجة الاحتجاجات والغضب من المناطق الداخلية والجنوبية من البلاد والتي كانت تعرف وتيرة تنمية ضعيفة، لتصل إلى المدن الساحلية والسياحية وتستقر في وسط العاصمة التي كانت تمثل مركز الثقل السياسي والاقتصادي وقد أخذت الاضطرابات أشكالا متعددة من إعتصامات وتظاهرات إلى مسيرات ووقفات احتجاجية وصلت تداعياتها إلى العواصم الأجنبية التي نظمت بدورها وقفات سلمية أمام السفارات التونسية، إن ما يمكن ملاحظته من خلال الفعل الاحتجاجي هو دور الشباب كفاعل أساسي وهام في المشهد السياسي، فما هي العوامل والأسباب التي كانت تقف وراء عملية التحول السياسي في تونس؟

أ. العوامل الداخلية:

1. تدني وانهيار شرعية النظام السياسي: تمثل الشرعية ضمانة استمرارية السلطة وتجديدها من حقبة إلى أخرى على أسس ثابتة تمنع الحاجة إلى القوة و الاستيلاء، و يرى العالم الألماني "ماكس فيبر" إن نظام الحكم يكون شرعيا عند الحد الذي يشعر فيه المواطنون بأن ذلك النظام صالح ويستحق التأييد و الطاعة، وتقوم علاقة الحاكم و المحكوم على التفاعل و تبادل الرأي فالمحكوم يندفع للمشاركة بفعل اعترافه بالحاكم و الحاكم يندفع إلى قبول المشاركة بفعل استمداد شرعيته من المحكوم (صحراوي،2013/2012،ص19). يمكن حصر أهم آليات النظام التسلطي التونسي في عهد بن علي إلى غاية 14 جانفي 2011، في تعزيز حكمه وضمان بقائه في السلطة بالاعتماد على مجموعة من الوسائل القانونية والغير القانونية في التحكم في منظومة الإصلاح

السياسي: يمكن الإشارة إليه من خلال توسيع المشاركة السياسية، وبناء دولة القانون والمؤسسات، وانفتاح النظام السياسي، وتعميق التعددية والتنافس على السلطة، لكن في حقيقة الأمر أن هذه الإصلاحات اكتفت بإدخال تغييرات شكلية على البنية الدستورية والإجرائية للنظام السياسي دون إحداث تغييرات جوهرية في بنية النظام، وكانت الغاية من ذلك هي تقييد المجال والفضاء السياسي وفرض الرقابة على مختلف الأطياف الحزبية في المجتمع، ودلك لضمان استقرار واستمرار النظام لأكبر فترة ممكنة من الزمن.والتحكم في المنظومة الانتخابية: تحتل الانتخابات مكانة أساسية فهي تعكس الممارسات الديمقراطية في أي دولة، ومدى ترسخها في المجتمع، لكن التجربة الانتخابية في تونس قبل 2011 أثبتت أنها غير قادرة على تحقيق التحول، في ظل الظروف التسلطية التي كان يتبعها النظام التونسي السابق (طرنوشة،2012،ص ص47-52)

2. العامل الاجتماعي والاقتصادي: لقد مثل كل من العاملين الاجتماعي والاقتصادي البيئة المناسبة لنمو الاضطرابات ويعتبر العامل الاجتماعي من أكثر العوامل في تفسير ظاهرة السلوك الاحتجاجي في تونس، فمعظم الاحتجاجات التي عرفتها تونس خلال فترات الستينيات والسبعينيات القرن الماضي كانتفاضة الخبز في يناير 1984 كانت بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية مثل الخدمات وتفشي البطالة والفساد، وغياب العدالة الاجتماعية وقد وصلت البطالة إلى أعلى معدلاتها حيث قدرت في أوساط الشباب الجامعي بحوالي 14٪ إضافة الى الغبن الاجتماعي وغياب العدالة الاجتماعية (ناجي، 2011،ص141) وقد "كشفت جريدة Le figaro الفرنسية من خلال مقال كتبه Amedeo سنة 2011، أن أسرة بن علي وزوجته سيطرتا على 40% من مجمل النشاط الاقتصادي التونسي"(الرعود،2012/2011،ص64) أما على صعيد توزيع الثروة، فشهدت تونس تمركز الثروة في يد فئة قليلة مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بنظام الحكم في تونس، حيث كشف كتاب لمؤلفيه الفرنسيين "نيكولا بو"و "كاترين غراسييه" (Nicolas Beau et Catherine Garciet) بعنوان Le régente de Carthage "(حاكمة قرطاج)، عن مدى تغلغل نفوذ ليلى طرابلسي وعائلتها في الهيمنة والسيطرة بنسبة كبيرة على النشاط الاقتصادي، أما عبر الشركات والمؤسسات الاقتصادية والمالية، أو عبر العمل كوسيط بعمولة مالية أو تسهيل الإجراءات الإدارية والمالية(الصديقي،2011،ص ص09-10).

ب. العوامل الخارجية:

إضافة إلى العوامل الداخلية فتمت عوامل خارجية تساهم في تحريك عملية التحول السياسي نوجزها في النقاط التالية:

1.ضغوطات المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي.

2.دور تكنولوجيا التواصل الاجتماعي: ساهمت وسائل الإعلام والاتصال بمختلف أنواعها وطرق استخدامها ونخص بالذكر الوسائط الاجتماعية المتعددة "شبكات التواصل الاجتماعي"، في إحداث نقلة نوعية على مستوى الأنظمة السياسية العربية، وذلك من خلال الدور الذي لعبته في عملية التحول السياسي خاصة في الحالة التونسية، بحيث أصبح على النظام السياسي التونسي السابق حجب المعلومات وإتباع طرق تعتيم وإخفاء الحقائق، بل أصبحت هده الوسائل تكشف انتهاكات حقوق الإنسان واستخدام العنف ضد المنتفظين، إلى جانب دلك رفع قناع الزيف الذي كان ينتهجه الرئيس زين العابدين بن علي في إتباعه الأسلوب الديمقراطي بفتح المجال السياسي والتداول على السلطة وحرية الرأي والتعبير فقد عمدت هذه الشبكات الاجتماعية والتي تعتبر جزء من الإعلام الجديد على نشر الوعي السياسي خاصة في ظل تنامي دور ما يعرف بالمجتمع المدني العالمي، كما نجد دور الشباب التونسي في مجابهة آلة القمع الذي كان يستخدمها النظام من خلال تكوين

مجموعات افتراضية عبر المواقع الاجتماعية في الحشد والتنظيم للاحتجاجات لتنتقل من الواقع الافتراضي إلى الواقع الميداني، فقد صعبت الاتصالات والتكنولوجيا على النظم السلطوية العربية التحكم في تدفق المعلومات والأخبار إلى العالم الخارجي، فالشبكة العنكبوتية لعب درا كبيرا في نشر والصور بعيدا عن التوظيف السياسي للإعلام الرسمي، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي، بحيث أصبحت هذه الأخيرة وسيلة يتم من خلالها تداول الأخبار والأحداث عبر المحطات التلفزيونية في العالم ونشر مقاطع الفيديو على شبكة اليوتيوب خاصة في ظل التعتيم الرسمي لسيرورة الأحداث الداخلية في تونس (ناجي، 2011، ص144) فقد أكد الباحثون والمفكرون أمثال" صمويل هنتغتون" Samuel Huntington في كتابه" صراع الحضارات" و "يوجيمو فوكوياما" Yogino Vogoyamaفي كتابه "نهاية التاريخ" و "الفن توفلر" Alvin Tovlar في كتابه "تحول السلطة" و "ليتر ريستون"Wilter Riston في كتابه "أفول السيادة" بشكل أو بآخر أن "القوة أضحت تعود للعامل التكنولوجي والتقني" وقد جاء في كتاب ليستر ثرو Lister Throw في كتابه "المتناطحون" "أن الفائز في القرن الحادي والعشرين هو من يمتلك مفاتيح القوة التكنولوجية والمعلوماتية (الفيصل،2006، ص09).

- **آليات التحول السياسي بتونس**

يتفق أغلب الباحثين والمختصين في الظواهر السياسية على وجود ثلاثة آليات يتم إتباعها في عملية التحول السياسي وهي التحول Transformation وعليه فإن التغيير يكون من فوق بحيث يقوم به القادة المسيطرين على هرم النظام السياسي بإدخال تغييرات، ويتم ذلك عبر توفر ثلاثة مداخل وجود تيار اصلاحي،تغيير القيادة، قوة الحكومة على المعارضة، أما الآلية الثانية فهي الإحلال Remplacement والتي يكون مصدرها المعارضة، وقد يتم ذلك من خلال المؤسسة العسكرية، المثقفون، الشعب، في حين تتمثل الآلية الثالثة في الإحلال التحولي Transplacment، وفقا لهذه الآلية فإن هناك توازن بين المعارضة والنخبة الحاكمة، وقد يتم التغيير من خلال الصفقة السياسية أو احتواء الراديكاليين.

1. <u>الآلية التي تم اعتمادها في عملية التحول السياسي بتونس</u>: إن الآلية الأقرب إلى المشهد التونسي في عملية التحول السياسي هي آلية التحول عن طريق الشعب، فقد انتهج التونسيون في تحولهم نهج التغيير الجذري من خلال الثورة التونسية الداعية إلى القطيعة الكاملة مع النظام السابق ومنظومته، ففي خضم الأحداث التي عرفتها تونس برز دور المجتمع المدني في دفع عملية التحول السياسي، فقد "إلتحقت جل المنظمات الوطنية، كالاتحاد العام للشغل والنقابة الوطنية للتعليم الثانوي، إضافة إلى الهيئة الوطنية للمحامين والطلبة، وكذلك الفنانين المطالبين برحيل الرئيس زين العابدين بن علي عن سدة الحكم والتعبير عن سخطهم للأساليب الوحشية الممنهجة التي يتبعها النظام ضد المحتجين"(الخناشي،2012،ص234)، وفي خضم الأحداث التي سبقت الإطاحة بالرئيس "حددت النقابات والقوى السياسية أربعة شروط منها إقالة الحكومة الحالية، وتأليف حكومة انتقالية تعد لانتخابات تشريعية مسبقة،محاسبة المسؤولين عن إطلاق النار على المتظاهرين والإفراج عن المعتقلين،فتح صفحة سياسية جديدة عنوانها الحوار في شان مستقبل الوضع السياسية في البلاد "(الخناشي،2012،ص ص235-238).

لم تستغرق المدة بين اندلاع الاحتجاجات وفرار الرئيس زين العابدين بن علي سوى أربعة أسابيع متجها نحو المملكة العربية السعودية بعد رفض فرنسا استقباله، فقد ظهر في المجتمع التونسي عنصر الانسجام والتجانس بين مختلف أطياف المجتمع وغياب الانقسامات داخل النسيج المجتمعي.

3. **المواقف الدولية والاقليمية من التحول السياسي بتونس.**

- <u>الموقف الأمريكي:</u>

"تميز الموقف الأمريكي تجاه الأحداث في تونس وتفاعلاتها بالصمت، حيث تجاهلت الإدارة الأمريكية التعليق على ما يحدث في تونس طوال ثلاثة أسابيع، رغم العنف الذي اتسم به رد الحكومة على المحتجين السلميين"(عبد الحليم،2012/2011،ص57)، فبالرغم من جنوح النظام السياسي التونسي إلى معالجة الأزمة وفق مقاربة أمنية والاستعمال المفرط للقوة، بدلا من معالجتها وفق مقاربة سياسية إلا أن الإدارة الأمريكية تعمدت بصورة مثيرة التزام الصمت تجاه ممارسات النظام التونسي وأساليبه القمعية الممنهجة، استدعت وزارة الخارجية الأمريكية على خلفية ما يحدث في تونس، السفير التونسي في واشنطن "محمد صلاح تقية" في 7 يناير 2011، لإعطاء توضيحات حيال الأوضاع في تونس، خاصة في ظل ارتفاع عدد ضحايا أمام الاستخدام المفرط للقوة من طرف القوى الأمنية لتفريق المتظاهرين في سيدي بوزيد والقصرين وتالة (بن يونس،2011،ص06) وقد أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية "**هيلاري كلينتون**" **Hillary Clinton** في تصريح لها " أن الحكومة الأمريكية، تراقب ما يحدث في تونس دون أن تقف مع النظام على حساب الشعب ولا العكس بالعكس"(عبد الحليم،2012/2011،ص58) ثم اتسم الموقف الأمريكي بعد دلك، بالاحتجاج على الطريقة التي تتعامل بها القوى الأمنية للرئيس التونسي زين العابدين بن علي مع المحتجين، وطالب باحترام الحريات الفردية، حيث أكد المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، في 12 يناير 2011 **"مارك تونر" Mark Toner** إن إدارة الرئيس **باراك اوباما**(بشارة،2012، ص327).

- <u>موقف الاتحاد الأوربي:</u>

اتسم موقف الاتحاد الأوربي حيال التحول السياسي في تونس بالارتباك وفضلت غالبية الدول الأوربية الانتظار إلى أن تتوضح الصورة، خاصة مع وجود مواقف مؤيدة للنظام التونسي ورئيسه، كما هو حال فرنسا، في 10 يناير2011 عبر الاتحاد الأوربي عن رأيه وموقفه من الأحداث التونسية على لسان "**مايا كوسيا تشيك**" الناطقة الرسمية باسم **كاترين اشتون** وزيرة الشؤون الخارجية للاتحاد الأوربي تدعو في بيان على ضرورة ضبط النفس في استخدام القوة واحترام الحريات الأساسية، وندعو على وجه الخصوص إلى الإفراج الفوري عن المدونين والصحفيين والمحامين وغيرهم من المعتقلين الدين كانوا يتظاهرون سلميا في تونس (بشارة،2012،ص329) وتطور موقف الاتحاد الأوربي بعد فترة من الصمت، في 16 يناير من نفس السنة حيث أعربت "**كاترين اشتون**" عن تضامنها مع الشعب التونسي، كما قام الاتحاد باتخاذ مجموعة من الإجراءات والعقوبات على النظام السابق حيث قرر في 31 يناير 2011 بتجميد أصول الرئيس بن علي(بشارة،2012، ص ص334-335).

- <u>موقف الدول العربية:</u>

اختلفت وتباينت مواقف الدول العربية تجاه التغيير الذي حدث في تونس من دولة إلى أخرى، فقد أكدت كل من مصر في بيان لوزير خارجيتها أنها تحترم إرادة الشعب التونسي وهو نفس الموقف الذي اتسمت به كل من الكويت وقطر، حيث أكدت هذه الأخيرة أنها تراقب عن كثب الأحداث التي تجري في تونس، أما الموقف العراقي فعلق على الوضع على انه مسالة داخلية تخص تونس وحدها والعراق لا تتدخل في الشؤون الداخلية للدول، في حين رحبت السودان بالتغيير، أما عن الموقف الجزائري فان الرئيس بوتفليقة أرسل ببرقية إلى الرئيس التونسي

المؤقت يعبر فيها عن ثقته بنجاح العبقرية التونسية في تحقيق رفاهية الشعب التونسي، علما أن من مبادئ الدبلوماسية الجزائرية هو عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول(الدين،2013/2012،ص20).

المحور الثالث: تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على عملية التحول السياسي بتونس.

1. دور شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التحول السياسي بتونس.

أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي المتنفس الوحيد للشعب التونسي إبان ثورة 2011 في إيصال صوته إلى العالم،في ظل غياب قنوات تواصل أخرى، وكذا في مواجهة الإعلام التقليدي الذي واصل كعادته الإستماته في الدفاع والدعاية للسلطة الحاكمة،وفي مقدمتهم الرئيس السابق بن علي من بث خطاباته التي ألقاها لتهدئة الشعب التونسي،وكذا زيارته للجرحى الذين أصيبوا أثناء قيامهم بالإحتجاجات،وهذه الصورة كانت مغايرة تماما للصورة التي قدمتها شبكات التواصل الإجتماعي التي كانت في تصورنا الأقرب إلى الواقع.

وعندما نتحدث عن دور شبكات التواصل الإجتماعي في التحول السياسي في تونس، فإننا بالضرورة نتحدث عن دور للفايسبوك وتوتير ويوتيوب في التحول السياسي في تونس بحيث لعبت هذه الشبكات ادوارا مهمة في الدفع بعملية التحول السياسي بتونس نوجزها في النقاط التالية:

- ✓ كسر احتكار الدولة والسلطة للإعلام فقد شكل موقع شبكات التواصل الاجتماعي أداة مهمة للشباب التونسي أثناء عملية التحول السياسي وفي مواجهة آلة القهر التي كان يمارسها النظام السياسي.
- ✓ التنظيم والتنسيق وكشف الحقائق تحولت شبكات التواصل الاجتماعي إلى وجهة العديد من القنوات الإعلامية من اجل الحصول على الأخبار والمعلومات حول الأحداث والوقائع في تونس في ظل التعتيم الذي كان يفرضه نظام بن علي ومنع القنوات من تغطية الأحداث، كما أنه كان أداة أساسية في تنظيم الاحتجاجات وتحديد المواعيد والأمكنة وتنسيق بين النشطاء والمحتجين.
- ✓ أداة للتوظيف السياسي من خلال ميزة الاتصال السريع بين المحتجين الشباب، كما أثبتت شبكات التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفايسبوك قدرتها على التعبئة في زمن قياسي.
- ✓ فضاءات إعلامية بديلة.

ففي دراسة قدمها معهد إفريقيا الجنوب الإفريقي حول قدرة وسائل الإعلام الاجتماعية في التأثير على التغيير الاجتماعي والسياسي في القارة الإفريقية توصل إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي كان لها أربعة ادوار خلال الاحتجاجات في تونس (Muller,Merwe,2011,p05) وهي:

2. حشد وتحريك القاعدة الشعبية.
3. تكريس مفهوم المواطنة الفاعلة وتنظيم المجتمع المدني .
4. أداة فعالة لمواجهة الدعاية والشائعات الصادرة عن النظام السياسي .
5. تمكين المواطنين من تحليل البيانات الصادرة عن الحكومة.

وإذا كان لا يختلف اثنان عن مساهمة شبكات التواصل الإجتماعي في التحول السياسي في تونس وبعدها في دول عربية أخرى،إلا أنه ينبغي لنا أن نشير أن هناك انقسام بين الباحثين بخصوص الدور الذي أدته شبكات التواصل الإجتماعي خلال التحولات السياسية في تونس والدول العربية إلى اتجاهين.

فترى طائفة من الباحثين أن شبكات التواصل الاجتماعي وبالخصوص الفايسبوك،تويتر،يوتيوب،هي من تقف وراء حدوث الثورات والتحولات السياسية في المنطقة العربية،وهذا إلى درجه اعتبار أن التحول السياسي ما كان ليحدث لولا وجود الفايسبوك وتويتر مثل ايثان زوكرمان وعلي حرب، ويستند هؤلاء في طرحهم هذا على الأدوار الأساسية التي قدمتها شبكات التواصل الاجتماعي لإنجاح التحولات السياسية في أكثر من دولة عربية بداية من تونس.

وفي مقابل هذا الرأي الذي يرى أن شبكات التواصل الاجتماعي كانت السبب الرئيسي في الدفع بالتحول السياسي في تونس والدول العربية إلى الأمام،هناك موقف أخر أن هذه الثورات كانت لها أسباب أخرى عجلت بانطلاقتها،ولا تمثل شبكات التواصل الإجتماعي فيها إلى عامل مساعد وليس عامل حاسم،بل كان بالإمكان الاستغناء عن شبكات التواصل الإجتماعي خلال هذه التحولات السياسية.

وهذا الرأي الذي يؤيده المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية خير الدين حسيب إذ يعتبر أن:"هناك مبالغة في دور وسائل التواصل الإجتماعي في تحقيق هذه الثورات والانتفاضات،صحيح أن هذه الوسائل ساعدت في اشتعال فتيل هذه الأحداث، إلا أن تلك الثورات والانتفاضات ما كانت لتضم كل هذه الفئات الاجتماعية لولا تراكم الوعي بضرورة الإصلاحات الجذرية والتي ساهمت فيها جهات مختلفة فكرية وسياسية على مدى الأربعين سنة الماضية،إضافة إلى حدوث توازن في التاريخ المعاصر في إيران وإندونيسيا بدون توفر مثل وسائل التواصل الإجتماعي هذه (بن عمر،2014/2013،ص127).

2. ردود أفعال النظام السياسي التونسي السابق من شبكات التواصل الاجتماعي.

أسلوب النظام السياسي التونسي في الرد على المحتجين: لقد كانت القوة أو الطفرة الشبابية المحرك الأساسي للتغيير السياسي في تونس، والتي انطلقت عن طريق المواقع الالكترونية، على اثر إحراق **محمد البوعزيزي** لنفسه، تضامنا معه وتعبيرا عن رفضهم للواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للبلاد، والمطالبة برحيل النظام وإسقاطه، بعدما أصبح نظاما بائدا حكم لأكثر من 23 سنة، وأمام هذا الوضع، وفي ظل القطيعة المعرفية التي أوجدتها الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، أدت إلى وجود هوة فكرية بين جيل يطمح إلى الحرية والمشاركة السياسية الفعالة، وجيل قديم حكم باسم الشرعية التاريخية والثورية، فإن النظام السياسي التونسي السابق حاول إنتاج نفسه، عن طريق استخدام مجموعة من الأدوات لاحتواء الاحتجاجات من جهة والسيطرة والتحكم في مواقع التواصل الاجتماعي من جهة أخرى.

الرد التقليدي وكان ذلك باستخدام أدوات الموجة الثانية أو كما أسماها توفلر حضارة الموجة الثانية المريضة إعطاء صلاحيات واسعة للشرطة والأمن باستخدام القوة ضد المحتجين ومنع الإعلام من تغطية الأحداث وسجن الصحفيين والمراسلين وقطع الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ومنع الوصول إلى المواقع السياسية (علي،العدد2012،20) كما تحركت الحكومة التونسية على غرار الدول العربية التي شهدت احتجاجات شعبية في مواجهة الدعوات المنادية بإسقاط النظام عبر المواقع الالكترونية من خلال وسائل وأدوات أمنية بحثة منها ملاحقة المدونين وتقديم بعضهم للمحاكمة ومنع المدونين من السفر لحضور مؤتمرات عالمية وإقليمية تناقش استراتيجيات التحايل لتفادي الرقابة على وسائل التعبير الرقمي الدخول إلى المواقع التفاعلية من خلال نشطاء أمنيين يتولون التشويش على الأفكار التي يتم تداولها (البنا، 2011،ص22).

3. مستقبل شبكات التواصل الاجتماعي في الدول العربية.

إن مستقبل شبكات التواصل الإجتماعي "فاسبوك،تويتر،يوتيوب"وغيرها من المواقع سوف يجعلنا نتبع مسارها في تكريس موقعها،بحيث أصبحت تسمى بالسلطة الخامسة،وقد تحول ميزان القوة من حراس البوابة في الصحافة التقليدية "السلطة الرابعة" إلى سلطة خامسة جديدة مثمتلة في النشطاء والفاعلين الإلكترونيين،وبالرغم من اتفاق جميع الباحثين على أن المستقبل سيشهد تطورات نوعية، سواء على صعيد وسائل التواصل الإجتماعي،أو على صعيد التأثيرات التي تفرزها هذه الوسائل على مختلف المستويات،فإن هناك تباينات واضحة في بناء توقعات مستقبلية،ويشير بعض الباحثين أن القوة المعلوماتية ستتضاعف سنة 2026 ثمانية ألاف ضعف،وفقا للقانون الذي وضعه جوردن مور « Gordon E.Moore » عام 1965 والذي يتوقع تضاعف القوة المعالجة للحواسيب كل 18 شهرا (السويدي،2014،ص113)كما تعززت توقعات العلماء على مدى العقد الماضي بأن الأشكال الجديدة من الاتصالات،قد تحدث ثورة في الطريقة التي تتعامل بها الشعوب،وتتفاعل مع حكوماتهم،بل تستخدم لإجبار الحكام المستبدين للإستجابة لمطالبهم (قتلوني،2012/2011،ص193)

هذا التطور الهائل في تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال،يجعلنا أمام تساؤل جوهري حول إمكانية التأثير وصناعة التغيير،اعتمادا على تأثيرات هذه الوسائل من خلال إستعمالاتها المختلفة،والاستفادة من تقنيات الإعلام الجديد في صناعة القرار ورسم السياسيات،ولعل ما عاشته الدول العربية،ابتداء من تونس،ثم مرورا بمصر واليمن،ثم ليبيا وغيرها من الدول العربية في إطار ما يسمى – الربيع العربي –،يكتسي طابعا خاصا في علاقة وسائل الجديدة ودورها الكبير في إيجاد الظروف الملائمة لتوحيد الجهود، وتعزيز المبادرات الرامية إلى تحقيق الشعار الذي تعارف عليه الجميع، من شمال إفريقيا إلى الشام، وقرروا النضال من أجله،والموسوم الشعب يريد إسقاط النظام (العربي، 2014،ص220).

فشبكات التواصل الإجتماعي خلال التحولات السياسية التي عرفتها المنطقة العربية،فإن هذه الشبكات تحولت في طبيعة وإطار استخدامها، من ميادين التواصل الشخصي لتبادل الأفكار والمعلومات،إلى أدوات ثورية حقيقة وفاعلة في الشارع السياسي، واستطاعت ليس فقط أن تسهم في إسقاط الأنظمة المستبدة والقمعية،بل أنها أضحت اليوم تمثل موقفا سياسيا بامتياز،وأسهمت في تشكيل قاعدة لما يمكن أن ندعوه "المجال العام"،من أجل خلق مناخ ديمقراطي حقيقي،وتحقيق المزيد من التعددية الفاعلة في الإطار السياسي والمشاركة في صنع القرار،وأدوات يحسب حسابها في إطار المسائلة والشفافية والتصدي للفساد بكل أنواعه (صباح،2012،ص273).

ففي إطار الأحداث والتداعيات التي شهدها العالم العربي منذ بداية 2011 أثبتت شبكات التواصل الاجتماعي وعلى وجه الخصوص الفايسبوك قدرتها على تنظيم وتنسيق وتحديد موقع ومكان الأحداث وتعبئة الجماهير في زمن قياسي بل ومواجهة الأنظمة والحكومات بالرغم مما تمتلكه هذه الأخيرة من وسائل تجعلها قادرة على التغلب عليها في ظرف قياسي، إن مستقبل شبكات التواصل الاجتماعي سوف ينحصر بين سيناريوهين **الأول** هو أما ريادة هذه الشبكات الاجتماعية واحتلالها مكانة الصادرة مقارنة بالوسائل الاعبلامية التقليدية الموجهة خصوصا وأن الشبكات الاجتماعية يقودها الشباب، أما السيناريو **الثاني** هو تراجع دور هذه الشبكات إذا ما

عملت الأنظمة العربية علة تكريس الديمقراطية بمعناه الحقيقي وتدعيم الحريات والحقوق والعمل في إطار الشفافية.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة معالجة وتحليل الدور الذي لعبته شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التحول السياسي بتونس، وعليه توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

- ✓ تمكنت شبكات التواصل الاجتماعي من لعب دور مهم في نجاح التحول السياسي في تونس من خلال ما قدمته من تسهيلات للمستخدمين والفاعلين الافتراضيين من حشد وتنظيم وتنسيق الذي ساهم في كسر حاجز الخوف، ليترجم في النهاية لعمل ميداني أسفر عن سقوط النظام السياسي التونسي.
- ✓ دور الشبكات الاجتماعية في الكشف عن الانتهاكات التي كان يمارسها النظام السياسي التونسي في عهد زين العابدين بن علي، خاصة فيما تعلق بانتهاكات حقوق الإنسان، واستخدام الأساليب غير القانونية، بالإضافة إلى الكشف عن مظاهر الفساد.
- ✓ أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي بفضل التطور التكنولوجي والعلمي تمثل فضاءا للممارسة المواطنة الافتراضية، وتشكيل مجتمعات مدنية عالمية افتراضية.
- ✓ تمكنت شبكات التواصل الاجتماعي من جعل العالم دولة صغيرة، بحيث أصبحت تجمع على مواقعها أكثر من جنسية وقومية وهوية متجاوزة بذلك كل الحدود الإقليمية والسيادية للدول، ولذلك نجد أهمية هذه الوسيلة في عملية التحول السياسي بتونس من خلال تفاعل شعوب العالم مع المحتجين، بل واعتماد العديد من الوسائل والقنوات الإعلامية على هذه الشبكات في تغطية الأحداث.
- ✓ لا يمكن الاعتماد كليا على شبكات التواصل الاجتماعي في تلقي المعلومات والأخبار، فقد تكون هذه الأخيرة تتميز بعدم المصداقية كون ليس لها مرجعية معينة، خاصة في ظل عدم معرفة المستخدم لهذه التقنية، كونها هويات افتراضية لا تحكمها قوانين وتشريعات منظمة.
- ✓ يمكن لهذه الشبكات أن تستغل للتوظيف السياسي من أطراف تسعى إلى تحقيق أهداف ومصالح معينة من اجل التغيير أو تصفية حسابات ما.
- ✓ إن بروز وصعود شبكات التواصل الاجتماعي في ظل التطورات التكنولوجية والمعلوماتية عبر الانترنت، سيكون لها شأن وتأثير كبيرين في المستقبل القريب،فالمؤشرات والإحصائيات تشير إلى الإقبال المستمر من طرف الأفراد على هذه التطبيقات والشبكات الحديثة، وهو ما يوحي ويدل على الشأن المتعاظم لهذه الأشكال الحديثة، وتأثيرها في المستقبل القريب على شعوب العالم خاصة من الناحية السياسية.
- ✓ يمكن لشبكات التواصل الاجتماعي أن تحتل مكان آو تكون كبديل للأحزاب السياسية، كونها استطاعت تحقيق ما لم تستطع عليه الأحزاب السياسية عبر سنوات طويلة من النضال السياسي، فهذه الشبكات يمكن لها أن تجمع العديد من الفاعلين الذين يتشاركون نفس التوجه والإيديولوجية والهدف، وهو رهان وتحدي صعب، خاصة في ظل انعدام الأطر القانونية والتشريعية المنظمة للشبكات الاجتماعية.

قائمة المراجع

1- البلوشي حسن هنادي،(2012)، خدمات المكتبات الجامعية المقدمة عن طريق موقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

2- البنا نهال،(2011)، الإعلام الرقمي وأثره على السياسات العربية، مجلة السياسة الدولية، العدد (184) .

3- الجابري محمد عابد،(2000)، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي في مسالة الديمقراطية في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

4- الدين فاطمة الزهراء(2013)، جامعة الدول العربية وموقفها من الربيع العربي،مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة ورقلة، الجمهورية الجزائرية.

5- المزاهرة منال هلال،(2014)،تكنولوجيا الإتصال والمعلومات، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

6- العربي العربي،(2014)، مستقبل الإعلام بين التطور التكنولوجي وصناعة التغيير،مجلة المفكر، العدد(10).

7- الصاعدي سلطان مبارك مسفر،(2014)، دور شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة العمل الإنساني، بحث مقدم لمؤتمر العمل الإنساني، المركز الدولي للأبحاث والدراسات، المملكة العربية السعودية.

8- الصيقي العربي،(2011)، تونس:ثورة المواطنة ثورة بلا رأس، سلسلة أوراق ودراسات بحثية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة.

9- الفيصل عبد الأمير،(2006) الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

10- القاموس العربي، هيئة الأبحاث والترجمة، دار الراتب الجامعية.

11- الرعود مبارك عبد الله ممدوح،(2012) دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط.

12- الخناشي عبد اللطيف، (2012)،الأحزاب والمنظمات الوطنية التونسية ودورها في الثورة ومجراها من كتاب ثورة تونس الأسباب والسياقات والتحديات، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

13- بلخيري رضوان،(2014)،مدخل الى الاعلام الجديد المفاهيم والوسئل والتطبيقات، الجزائر: دار جسور للنشر والتوزيع.

14- بن يونس كمال،(2011) التهميش الشامل: عوامل اندلاع الثورة ضد نظام بن علي في تونس، السياسة الدولية، العدد (184).

15- بن عمر وردة،(2014) تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الحراك السياسي في الدول العربية مصر نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجمهورية الجزائر.

16- بن روان بلقاسم،(2007)،وسائل الاعلام والمجتمع دراسة في الابعاد الاجتماعية والمؤسساتية،الجزائر:دار الخلدونية.

17- عزمي بشارة،(2012) الثورة التونسية بنية في صيرورتها من خلال يومياتها، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

18- بخيث السيد،(2012)، نحو صياغة مؤشرات تقييم الأدوار السياسية لشبكات التواصل الاجتماعي، ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي السادس للجمعية السعودية للإعلام، الإعلام الجديد..التحديات النظرية والتطبيقية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

19- زكي وليد رشيد،(2009/07/01)،رأسمال الاجتماعي بين السياق الواقعي والافتراضي،على الرابط الالكتروني يوم 2017/08/18 على الساعة
http://ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=2026. 09:00

20- رشاد وليد زكي،(2011)،نظرية الشبكات الاجتماعية من الايدولوجيا إلى الميثودولوجيا»،المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني.

21- حافظ طالب حسين،(2014)، التغيير في المنطقة العربية وانعكاساته – العوامل الخارجية، دراسات دولية، العدد (58).

22- طرنوشة لطيف،(2012)، منظومة التسلط في النظام السياسي التونسي قبل ثورة 14 يناير من كتاب ثورة تونس الأسباب والسياقات والتحديات، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

23- ناجي عبد النور،(2011)، الحركات الاحتجاجية في تونس وميلاد الموجة الثانية من التحرر السياسي، المستقبل العربي،العدد (387).

24- نومار مريم نريمان،(2012)، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية دراسة عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر بباتنة،الجمهورية الجزائرية.

25- سهيل إدريس،(1998)، المنهل قاموس فرنسي - عربي، بيروت: دار الآداب.

26- سعداوي عمرو عبد الكريم،(1999)، التعددية السياسي في العالم الثالث، الجزائر نموذجا، السياسة الدولية، العدد(138).

27- عبد الجبار احمد عبد الله،(2012)، فراس كوركيس عزيز، دور شبكات التواصل الاجتماعي في ثورات الربيع العربي، مجلة العلوم السياسية، العدد (44).

28- عبد الحليم عبد الله عبد الحليم،(2012)،الولايات المتحدة الأمريكية والتحولات الثورية الشعبية في دول محور الاعتدال العربي 2010 -2011، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنيةنابلس، دولة فلسطين.

29- عبد الله فؤاد ثناء،(1997)، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، ط(1)،بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

30- علي محمود منى،(2012)، من ثورة الاتصال إلى ثورة التغيير رؤية تكنو- اجتماعية لأحداث مصر 2011،مجلة السياسة والدولية، العدد(20).

31- . صباح ياسين،(2012)، اثر الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في عملية التغييرمن كتاب الثورة والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي نحو خطة طريق، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

32- صحراوي شهرزاد،(2014)، هيكلة التحول الديمقراطي في المنطقة المغاربية دراسة مقارنة بين تونس – الجزائر - المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بسكرة، الجمهورية الجزائرية.

33- قندلجي عامر إبراهيم،(2013)، الإعلام و المعلومات والانترنت،عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

34- قتلوني مصعب حسام الدين لطفي،(2012)، دور مواقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك في عملية التغيير السياسي مصر نموذجا، رسالة الدراسات العليا غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، دولة فلسطين.

35- راضي زاهر،(2003)،استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد(15).

36- خلف الله محمد جابر،(2013)، نشأة وتطور مواقع التواصل الاجتماعي، انظر على الرابط الالكتروني يوم 2017/07/15 على الساعة

http: // kenanaonline.com/ user/Azhar – gaper/ posts/51288.10:00

37- خليفة هبة، عادل أمينة،(2009)، الشبكات الاجتماعية وتأثيرها على الأخصائي والمكتبة دراسة شاملة للتواجد والاستخدام لموقع الفايسبوك، بحث مقدم في المؤتمر الثالث عشر لأخصائي المكتبات والمعلومات في مصر، الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات، جمهورية مصر.

38- Boyd.M,Nicol.B (2008) ,social network sites:définition history and scholarship, **journal of computer mediated communication,**vol(13).

39- Eckstein.H,(1992),**regading polities, essayson polithcal theory ; stability and change berkely**, university of california press.

40- Harrison.R and Thomas.M,(2009), identity in online communication social Networking sites and language Learning, **international journal of emerging technologies and society.**

41- Muller.B & Merwe.CVN,(2011), the potential of social media to influence socio – political change on african , Policy Brief, africa Institute of South africa, Briefing N°(46).

42- Oxford Dictionair, **Social network définition**, university press.